إنجيل متى ١٣: ٤٤-٤٦

مثل القيم الحقيقية

تأليف: تومي ساوث

« أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفي في حقل، وجده إنسان فأخفاه، ومن فرحه، مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل.

أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلي حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها » (متى ١٣: ٤٤-٤٦).

في خطاب بعنوان « من الذي غيّر الملصقات المبينة للأسعار ؟ » سرد توني كامپولو قصة حقيقية عن سرقة غير عادية في متجر كبير بأمريكا. لم يسرق اللصوص شيئاً، بل قاموا بتبديل كل البطاقات المبينة للأسعار على العديد من البضائع في المتجر كله. وفي اليوم التالي، فرح الزبائن إذ وجدوا ان اسعار المعاطف الجلدية قد انخفضت إلى دولار وتسعة وتسعين سنتاً، ولكنهم أذهلوا عندما وجدوا ان اسعار الجوارب قد بلغت ٣،٠٠٠ دولاراً! لا حاجة إلى القول بان ذلك قد أدى إلى إرتباك ليس بقليل. تبين هذه القصة ان القيم قد تغيرت بطريقة مؤثرة في مجتمعنا إلى حد اصبحنا نقيم كثيراً الأشياء التي لا يجب ان نبالي بها كثيراً، والأشياء التي يجب أن نقيم لها وزناً لا نهتم بها كثيراً.

لقد فقدت الأشياء مقاديرها المناسبة. على سبيل المثال، بدأ أعلان ما عن سيارة « ماسراتي Maserati » بهذا السؤال: « هل سئمت من قيادة السيارات الأوروبية بعد كل هذه المدة الطويلة وسيارات {الصالون sedans} الفاخرة؟ » ما هذا السؤال الذي يجهل وجود كثير من الناس بلا مأوى ولا مأكل! ومع ذلك، نهتم كثيراً بالأشياء الفاخرة والملذات. في مناسبة أخرى، هاجم شخصان بعضهما بحماقة لمدة ساعة لكي يُقْسَم بينهما ٣٠ مليون دولاراً في مبارة الملاكمة، بينما الذين يعلمون أولادنا لا يدفع لهم ما يكفي من الأجرة. يمكن للدولة بكاملها ان تقوم بحملة لإنقاذ ثلاثة حيتان، بينما يلقى القبض على الذين يحاولون إنقاذ الأطفال الذين لم يولدوا بعد من عملية الاجهاض ويسجنوهم. انه صحيح ان شخصاً ما قد « بدل الرقعات المبينة للأسعار ».

ماذا عن ملكوت الله؟ ما القيمة التي لها في عالم اليوم؟ بالنسبة لنا، ما القيمة التي لملكوت الله في حياتك وفي حياتي؟

ان مثل الكنز ومثل اللؤلؤة يبحثان في القيم. صمما بحيث يذكرنا عما هو أهم حقاً، وخاصة أهمية ملكوت الله. انهما يخبران عن شخصين، وجد كل منهما شيء يمثل الملكوت. أحدهما وجده « بالصدفة »، بينما وجده الآخر بعد بحث طويل ومكثف. النقطة الأساسية في هذين المثلين لا تكمن في الكيفية التي وجدا بها الملكوت، بل كيف كان رد الفعل عندما وجداه. من هذه الناحية، فعل كل منهما كما فعل الآخر – قد مضيا وباعا « كل ما كان » لهما واشتريا ما وجداه.

يُعتبر هذين المثلين من أقصر أمثال يسوع، ولكنهما يوضحان بطريقة رائعة درسين مهمين عن ملكوت الله.

قيمة الملكوت

في مثل الكنز ومثل اللؤلؤة، مضى كل من الشخصين وباعا كل ما كان لهما. هذا ما « يشبه » الملكوت. انه يستحق ان يتخلى المرء عن كل شيء آخر لأجل الحصول عليه. هل يعلم

هذان المثلان بانه يمكنك أن «تشتري» الملكوت أو تدفع مالاً للدخول فيه؟ كلا، يجب ان نكون مستعدين للتخلى عن كل شيء لكي نكون جزء من الملكوت. بالنسبة إلى هذا، تكون قصة الشاب الغني[1] عكس هذين المثلين، لقد وجد الملكوت ولكنه رفض ان يتخلى عن كل شيء لكي يدخله. ان طلب يسوع من إنسان أن يترك ممتلكاته يرمز فقط إلى ما يجب على الإنسان أن يتخلى عنه. كانت هناك أيضاً مشكلة كبرياءه، والاعتزاز بنفسه، وهويته كـ «إنسان غني». رفض ان يترك استقلاليته لكي ينتبه إلى دعوة يسوع القائلة: «تعال اتبعني».[2] كانت قيمة الملكوت أكثر مما شاء أن يدفع – ليس نقدياً فقط بل أيضاً بأشياء أخرى كثيرة. كان قد «بدل الرقعة المبينة للأسعار» في حياته دون ان يدرك ذلك! ظن انه يريد أن يذهب إلى السماء أكثر مما يريد أي شيء آخر حتى عرف الثمن.

كيف نعرف إن كان هذا يحدث لنا؟ كيف نعرف ان الرقعة المبينة للسعر قد بُدِلت في حياتنا؟

كم ترغب في الملكوت؟ هل تتحدث عنه؟ أو تفكر به؟ أو تصلي من أجله؟ هل تجد ان كونك جزءاً من الملكوت كـ «عمل روتيني» لتقضيه عوضاً عن التمتع به؟ هل أنت مذنب بعدم الاهتمام بالملكوت؟ هل تجهل علاقتك مع الله بتكرار عن طريق الاخفاق في الصلاة، والعبادة، وقراءة كلمته؟ هل الملكوت شيء مثل «صدار الوقاية من الغرق» – أو شيء مزعج ما عدا في حالة الطوارىء؟ قد تساعدك هذه الأسئلة على تقييم موقفك من الملكوت.

الشيء الأسوأ من تجاهل اعطاء الملكوت المكان الذي يستحقه في حياتك هو: تأجيل ان تتبع يسوع بسبب هموم العالم. ما الذي يعكسه هذا عن تقييمك للملكوت؟[3] كيف أصبحت الرقعة المبينة للأسعار مقلوبة هكذا في حياتك؟

يذكرنا هذان المثلان بانه لا يوجد شيء في الحياة قط يقاس بقيمة وأهمية الوجود في ملكوت الله. الإنسانين في مثل الكنز ومثل اللؤلؤة هما مثالان لجميعنا لكي نحاكي. إذا كان دخول الملكوت يتطلب بيع كل ما لنا، يجب أن نكون مستعدين أكثر لنفعل ذلك!

فرح الملكوت

قال يسوع بان الإنسان الذي وجد كنزاً في حقل، «من فرحه»، مضى وباع كل ما كان له. يشمل هذا أيضاً بالمفهوم الضمني في المثل الثاني بان الإنسان الذي وجد اللؤلؤة الكثيرة الثمن، قام أيضاً وباع كل ما كان له بشعور فرح غامر. فانه قد وجد أخيراً ما كان يبحث عنه، ربما وجد هذا بعد فترة طويلة وجهد مكثف.

الفكرة من هذين المثلين ليس عن فقدان شيء، بل عن إيجاده! ليس عما تركهما الإنسانان بقدر ما هو عن فرح الذي وجداه. بعد لقاء يسوع مباشرة مع الشاب الغني، كتب لوقا في إنجيله بان بطرس قال: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك!» فأجاب يسوع بانه ما من أحد ترك بيتاً أو أملاكاً إلا وينال «أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية!» (لوقا ١٨: ٢٨–٣٠). أخذ بولس هذه الفكرة بجدية، معلناً انه قد اعتبر كل ما كان له – بما فيه أصله الديني «خسارة» و«نُفَاية»[4] بالمقارنة مع القيمة الفائقة لمعرفة المسيح.

حالما نجد ما نقَيّمه حقاً، لا يكون هناك ثمن أكثر بكثير مما نستطيع ان ندفعه. في سنة ١٨٥٩ عندما ذهب قسطنطين تشندروف إلى دير القديسة كترينا عند جبل سيناء بحثاً عن مخطوطات قديمة للكتاب المقدس، سمح

---

[1] أنظر متى ١٩: ١٦–٢٤.
[2] أنظر متى ١٩: ٢١.
[3] أنظر مثل الوليمة في إنجيل لوقا ١٤: ١٥–٢٤ كمثال توضيحي لخطورة السماح لاهتمامات أخرى ان تقف بيننا ودعوة الله الغالية لنكون في ملكوته.
[4] أنظر الرسالة إلى أهل فيلبي ٣: ٧ و٨.

له وكيل الدير ان يرى المخطوطة التي كانت بحوزته.

> ههنا يوجد أمام عيني المتخصص في دراسة الكتاب المقدس، الكنز الذي كان يبحث عنه. وإذ أخفى شعوره، استأذن قسطنطين بطريقة غير رسمية لكي يتطلع على المزيد منها في تلك الأمسية. فأُذن له بذلك، عندما رجع قسطنطين إلى غرفتهَ، لم ينم الليل كله من شدة فرح دراسة المخطوطة – لانه كما أوضح في مذكراته (باللغة اللاتينية): « guippe dormire nefas videbatur » الذي يعني: « انه من العار أن أُنام »! فلاحظ سريعاً بان الوثيقة تحتوي على أكثر مما توقعه؛ لأنه لم يجد فيها معظم العهد القديم فقط، بل يوجد بها أيضاً العهد الجديد سليماً وفي حالة جيدة.

إيجاد شيء ما ذات أهمية حقيقية، كنزاً كان أم لؤلؤة، أم مخطوطة، أم ملكوت الله يأتي بفرح عظيم جداً.

من أين يأتي فرح الملكوت؟ من فرح معرفة الله. يقول الكتاب المقدس بان هذا هو السبب الذي من أجله خُلقنا (أعمال ١٧: ٢٦ و٢٧)، ومع ذلك، يحيا كثيرٌ من الناس حياتهم كلها دون ان يعرفوا أبداً ما هو الهدف من الحياة. يعرف الإنسان المسيحي ما هو الهدف من الحياة، وتنتج تلك المعرفة وتلك العلاقة أعظم فرح. قال بولس: « ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس » (رومية ١٤: ١٧). فيعطي الله فرح الغفران، والمعرفة بان خطايانا قد مُحيت. بعد ما عمد فيلبس الخصي الحبشي، « ذهب في طريقه فرحاً » (أعمال ٨: ٣٩). هكذا أيضاً السجان الفيلبي الذي كاد ينتحر قبل ساعات قليلة « تهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله » (أعمال ١٦: ٣٤)، حينما آمن وأخضع إلى رسالة الملكوت.

هكذا يكون الفرح أيضاً عند معرفة ان الحياة الأبدية شيء مضمون. يحيا كل منا تحت ظلال الموت. لا يوجد شيء آخر غير المسيح والحياة الأبدية التي منحنا إياها يمكن ان يحل تلك المشكلة. في ملكوته، لا نتساءل عن الأبدية أو نخاف في ما بعد. قد حلت مسألة الموت والحياة عن المكان الذي نقضي فيه الأبدية، ما أعظم الفرح الذي ينتج من هذا! تقول الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤ و١٥: « فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية ».

الخلاصة

لا تسمح لأحد أن « يبدل بطاقة الثمن » الموضوعة عليك ويخدعك حتى لا يكون لك أفراح الملكوت!

في مثل الكنز ومثل اللؤلؤة، تحدث يسوع عن القيم؛ قام كل من الرجلين بعمل حاسم وبسرعة. لم يكن لأي من الرجلين شك في ما سيفعله. كانت « الرقعات المبينة للأسعار » كلها في مكانها بالنسبة إليهما. وفعلا ما وجب عليهما.

ماذا عنك؟ أتحتاج ان تخضع للمسيح، وبالتالي تدخل ملكوته؟ أتحتاج إلى غفران خطاياك؟ أتحتاج اليوم إلى بداية جديدة نحو السماء، بدلاً من الإنتظار حتى « الغد »؟ أو كمسيحي هل أصبحت مهملاً؟ أتريد أن تضع الملكوت في المقام الأول في قائمة أولوياتك؟ لماذا تنتظر بعد الآن؟ فان ملكوت الله ينتظرك لكي تجده وتفرح فيه!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧